آليات التّماسك النّصّي في الخطاب السردي الحديث: قصّة (حَفْنَة تَمْر) للطيّب صالح نموذجًا

Textual Cohesion Mechanisms in Modern Narrative Discourse Tayeb Salih's "A Handful of Dates" as a Model

عيسى عودة برهومة [1]

Essa O Barhouma [1]

DOI: 10.15849/ZJJHSS.260331.08

الملخص

تتناول هذه الدراسة تحليل آليات التماسك النصيّ في قصة (حفنة تمر) للطيب صالح، بوصفها نموذجًا سرديًا مكثّفًا تتداخل فيه مستويات اللغة والدلالة والبناء الرمزيّ، وتستمد الدراسة أهميتها من سعيها إلى الكشف عن البنية الخفيّة التي تحكم تماسك الخطاب السرديّ وكيفيّة توليد المعنى من خلال الروابط النحويّة، والاستبدال، والعلاقات السببيّة، ومبدأ التغريض لكونه عتبة نصيّة توجه التأويل.

وقد اعتمدت الدراسة منهج لسانيات النص في إطار تحليليّ يجمع بين الوصف اللغوي والقراءة التأويليّة، من خلال تتبّع أنماط الإحالة، والتكرار، والحذف، والربط، ودورها في تنظيم السرد وإبراز صوته الداخليّ.

وأبانت النتائج أن القصة –على قصرها– تقوم على شبكة مُحكمة من العلاقات النصيّة التي تمنحها انسجامًا دلاليًا وانفعاليًا؛ فالضمائر ترسم بنية الوعي الطفوليّ، والروابط النحويّة تنظّم تدفق الشعور، والعلاقات السببيّة تُعيد بناء التجربة من الداخل، فيما يوجّه التغريض القراءة نحو دلالات رمزيّة تتجاوز ظاهر الحكاية.

وخلصت الدراسة إلى أنّ (حفنة تمر) مثال بارز على قدرة السرد العربيّ الحديث على توظيف البنية اللغويّة لإنتاج أثر شعوريّ ورمزيّ عميق.

الكلمات المفتاحية: التماسك النصيّ، لسانيات النص، حفنة تمر، الطيب صالح، التغريض، الروابط النحويّة، العلاقات السببيّة.

Abstract

This study analyzes the textual cohesion mechanisms in Tayeb Salih's short story "A Handful of Dates", viewing it as a highly condensed narrative in which linguistic, semantic, and symbolic layers intersect. The significance of the study lies in its attempt to uncover the hidden structures that shape narrative coherence and generate meaning through grammatical connectors, substitution, causal relations, and implicature as a guiding interpretive framework.

Using a text-linguistic analytical approach, the research examines patterns of reference, repetition, ellipsis, and linkage and explores how these mechanisms organize the narrative and reveal its internal voice.

The findings show that the story, despite its brevity, relies on a tightly woven network of cohesive relations that create emotional and semantic unity. Pronouns construct the child narrator's consciousness, connectives regulate the flow of perception, causal relations reconstruct the experience from within, and implicature directs interpretation toward deeper symbolic meanings.

The study concludes that "A Handful of Dates" exemplifies the modern Arabic narrative's ability to employ linguistic structure to produce profound emotional and symbolic impact.

Keywords: Textual cohesion, Text linguistics, A Handful of Dates, Tayeb Salih, Implicature, Grammatical relations, Causality.

[1] أستاذ اللسانيات وتحليل الخطاب، كلية الآداب، الجامعة الهاشمية

*للمراسلة: ebarhouma@hu.edu.jo

تاريخ استلام البحث: 2025/11/25

تاريخ قبول البحث: 2025/12/23

[1] **Professor of Linguistics and Discourse Analysis, The Hashemite University, Jordan**

***Corresponding author:** ebarhouma@hu.edu.jo

Received: 25/11/2025

Accepted: 23/12/2025

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2026

المقدّمة:

تمثّل قصة حفنة تمر للطيب صالح[1] إحدى الشهادات السرديّة البالغة الكثافة التي تتّحد فيها التجربة الشخصيّة بالمشهد الاجتماعيّ، حيث يتكثّف الزمن ويتشابك الفضاء، وتتشكّل الذاكرة في لحظة سرد تفتح على الحنين والخذلان معًا. فهذه القصة القصيرة نصّ عن الطفولة والتمر، ومَجازٌ ساردٌ عن الخيانة الأولى، وعن شروخ الوعي حين يُفتَح الطفل على زيف العالم، ويتلقى أوّل درس في قسوة الأبُوّة والتواطؤ الرمزيّ مع القهر.

إنّ قصّة (حفنة تمر) للطيب صالح، على قصرها الظاهري، تشكّل نواة سرديّة رمزيّة مشحونة بكثافة دلالية وانفعالية، تتجاوز بنية الحكي البسيطة إلى بنية سرديّة مركّبة تتقاطع فيها مستويات الإدراك الوجدانيّ والتمثيل الثقافيّ والتمويه السياسيّ. فهي لا تقدّم الطفولة في هيئتها البريئة، بل تُفكّك أسطورة البراءة نفسها، وتُعيد تشكيلها وعيًا مأزومًا يكتشف في أولى صدماته هشاشة العلاقات، وزيف الرموز، وتورّط الأبُوة –بما تمثّله من سلطة رمزيّة– في تهميش الضعيف ومحاباة القوّة.

وإذا كانت العلاقات الإحاليّة والمعجميّة والسببيّة تُشكّل البنية العميقة لتماسك النّصّ، فإنّ الرّوابط النحويّة تُمثّل البنية السطحيّة التي تنظّم انسياب الجمل وتتابع الوحدات السرديّة على نحوٍ يُحدث الانسجام الإجرائيّ للنص. وقد جاء توظيف الرّوابط النحويّة في حفنة تمر على قدرٍ عالٍ من الوعي السرديّ، إذ استخدم الكاتب أدوات العطف كالواو والفاء وثمّ، وأدوات الشرط والاستدراك، لا بوصفها وصلات تركيبيّة محايدة، بل باعتبارها آليات بلاغيّة/نصّيّة تنظم التدفق الشعوريّ، وتُعيد تشكيل العلاقات الزمنيّة والانفعاليّة بين المقاطع.

فالواو مثلًا –وهي الأداة الأكثر شيوعًا في النّصّ– استخدمت للربط الأفقيّ بين الجمل؛ لتُحاكي تدفّق الذاكرة الطفوليّة التي لا تعترف بالفواصل الصارمة بين الحدث والانفعال، فيأتي السرد متّصلًا اتصالًا انسيابيًّا يعكس تداعي المشاعر والصور. بينما تؤدي الفاء وظيفة مغايرة، فهي تُجسّد العلاقة السببيّة المباشرة، لا من حيث المنطق الزمني فقط، بل من حيث التحوّل الشعوري المفاجئ.

ويبدو العنوان (حفنة تمر) مفتاحًا أوليًّا لتأويل هذا النظام الرمزيّ؛ فهو ينهض بوصفه عتبة تأويليّة تؤسّس لمناخها الشعوريّ والمعنويّ، فالحفنة تحيل إلى القلّة والهشاشة والتشظّي، في حين أنّ (التمر) بما له من رمزية في الوجدان العربيّ –لا سيما في ارتباطه بالقيمة والكرم والصبر– يتقاطع هنا مع دلالات الإقصاء والخديعة والتفريط، لينقلب المعنى من الكرم إلى المرارة، ومن الامتلاك إلى النفي. وتصبح (حفنة التمر) التي يتقيّؤها الطفل في نهاية القصة أثرًا شعوريًّا معقّدًا، يختزل كامل تجربة الخيبة، ويعيد تعريف العلاقة بين المُلك والحرمان، وبين الظاهر والباطن.

إنّ (حفنة تمر) تُقرأ من خلال آليات اللغة التي تدير بها القصّة دوالّها المتشابكة، وهو ما يجعلها قابلة للدرس من داخل مقولات لسانيّات النّصّ، باعتبارها نظامًا لغويًا محكمًا يعمل على تحقيق التّماسك النّصّي من خلال شبكة من العلاقات النّصّيّة المتداخلة.

وإذا كان مبدأ التغريض –بوصفه توجيهًا دلاليًّا مُضمَرًا يستبطن القصد، ولا يصرّح به – يُعدّ من أبرز الأدوات التي يشتغل بها الأدب الرمزي، فإنّه في حفنة تمر يتجاوز كونه مجرّد تقنية بلاغية إلى أن يغدو نسيجًا

---

(1) صالح، الطيب، دومة ود حامد: سبع قصص، ط1، دار العودة، بيروت، 1977

داخليًّا في بنية السرد نفسها. فالتغريض هنا إزاحة شعورية، تُمليها زاوية الرؤية الطفوليّة، وتُفعّلها آليات التبئير الدّاخليّ، حيث يُروى الحدث كما وقع، وشُعر به، واختزنته الذاكرة لا كما دوّنه الحضور.

ويقوم التغريض، في هذا السياق، بوظيفة مزدوجة: فنيّة وسرديّة، أمّا الفنيّة، فتتمثّل في توتير العلاقة بين اللغة ومعناها الظاهر، إذ يتم تكسير التوقّعات لدى القارئ. وأمّا السردية، فتنبني على تغليف الرسالة النقديّة (عن الخداع، والصفقات، وسقوط الطفولة) بغلاف بسيط، تهيمن عليه العبارات الشفيفة، والأوصاف اليوميّة، ليأتي الانفجار الدلاليّ من تحت الرماد.

وتنطلق الدراسة من مقولات لسانيّات النّصّ تهتمّ بكيفية القول، وبما يُحجب ويُلمَّح إليه داخل الجملة. ومن هنا، فإن تحليل حفنة تمر من هذه الزاوية يستدعي الوقوف عند عناصر التّماسك النّصّي الكبرى، مثل: الإحالة التي تربط ضمائر الطفولة الحائرة بكبار يلفّهم الغموض، والتكرار الذي يُلحّ على مفردات التمر والهدية والنظرات بصيغة تُثير الشك أكثر مما تؤكّد، والحذف الذي يصنع فراغًا دلاليًا مقصودًا في بعض المقاطع ليُفسح المجال للتأويل، والربط الذي يعقد العلاقات بين الجمل بحبال مشدودة إلى خلفية سياقيّة لا تُقال، بل تُلمَح.

هكذا، يغدو النّصّ –في بنيته الظاهرة– سردًا قصيرًا عن الطفولة، لكنه في بنيته العميقة بناءً لغويًّا محكمًا، يُعيد تمثيل التجربة من الداخل، ويضبط تدفّق المعنى من خلال شبكة متداخلة من الإشارات والعلاقات الخفيّة. فالقصة تشتغل على آليّة التكثيف الرمزيّ، لا على التوسيع السرديّ؛ وهي بهذا، تُقدّم نموذجًا فريدًا في القص العربيّ الحديث، لنصّ صغير في حجمه، كبير في أثره، بالغ التّماسك رغم هشاشة الموقف.

1.1 لسانيّات النّصّ وبنية السرد العربيّ الحديث: نحو قراءة تتجاوز الجملة

عرفت الدراسات اللسانيّة المعاصرة تحوّلات عميقة في فهم النّصّ وتحديد وحداته ووظائفه، كان أبرزها الانتقال من مركزيّة (الجملة) إلى مركزيّة (النّصّ) باعتباره الوحدة الأعلى في البناء اللغويّ والتواصليّ. هذا التحول استجابة لنقص بيّن في المناهج التقليديّة التي اكتفت بوصف البنية الظاهرة دون التوغّل في شبكة العلاقات التي تصنع المعنى وتنتجه داخل السياق[1].

وقد برز حقل لسانيّات النّصّ بوصفه أفقًا تحليليًا جديدًا يعيد تعريف اللغة بل باعتبارها ممارسة تواصليّة تحكمها بنية كبرى، يتضافر فيها المعجميّ والنحويّ والبلاغيّ مع الإحاليّ والتداوليّ.

فالنّصّ – كما تفهمه هذه المقاربة –كيانٌ ديناميّ متماسك، تُنسج وحداته وفق منطقٍ تأليفيّ يجعل كلّ جزء شاهدًا على الكلّ، ولا تنفصل هذه الرؤية عن إرهاصات أصيلة في التراث العربيّ، وخاصة في مجال التفسير وعلوم البلاغة.

ولقد أَوْلى اللغويون العربُ القدماءُ اهتمامًا كبيرًا لدراسة النّصّوص وأبنيتها وترابطها، على أن اهتمامهم هذا كان ينصبُّ –في أغلب الأحايين– على دراسة القرآن الكريم لكونه نصًّا واحدًا يصل إلى الذّروةِ في مسألةِ ترابطه وتماسكه، من حيث الموضوع وعِلّة النزول ووقته، وقد بذلوا وسعهم في محاولةِ التبيان عن أشكال ترابط النّصّ القُرآنيّ في جميعِ مستوياتِهِ: الصوتيَّة، والصرفيَّة. والتركيبيَّة، والدّلاليَّة، ومن تفرَّعت دراساتهم لتشمل دراسة كل

1 ينظر: عبد الراضي، أحمد، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص13

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2026

النّصوص باختلاف أنواعها وأشكالها، مُدركين (أن النّصّ يجب أن يكون وحدةً واحدةً)، وعبّروا عن ذلك بعبارات منها: (جودة السبك)، و(يفرغ إفراغا واحدا)"[(1)].

وتفتح لسانيّات النّصّ آفاقًا واسعة في فهم النّصّوص وتحليلها، فهي تتعامل مع النّصّ بوصفه بنية كلّية ذات وحدة عضويّة، تتآزر فيها العناصر اللغويّة والتركيبيّة والدلاليّة ضمن نَسق متكامل. فهيَ لا تركز على البنى الجزئيّة المفصولة عن سياقها الكلّيّ، لأنّ هذه البُنى إذا ما دُرست بمعزلٍ عن غيرها، فإنها تفقد الكثير من طاقتها التفسيريّة، وتُعجز الباحث عن الإحاطة الدقيقة بمعاني النّصّ وتداخله الدلاليّ[(2)].

وقد أسهمت لسانيّات النّصّ في تطوير أدوات تحليليّة تتجاوز الوصف البنيويّ، لتنفتح على مستويات متعددة: فالبنية الإحاليّة، مثلًا، تُمكّن من تتبّع حركة الضمائر وتوزّع الإشارات النّصّيّة، فيما تكشف العلاقات الشرطيّة والسببيّة عن المنطق الدّاخليّ لسير الأحداث، وتضيء إستراتيجيات الحذف والتكرار عن آليات التوفير البلاغيّ وبناء التوتر الدلاليّ، وتزداد أهميّة هذه المقاربة حين نُسقطها على نماذج السرد العربيّ الحديث، التي كثيرًا ما توصف بأنها مفتوحة المعنى، متداخلة الزمن، ذات طبيعة دائريّة أو تجزيئيّة في بنائها. فالرواية العربيّة – من محفوظ إلى الطيب صالح، ومن عبد الرحمن منيف إلى هدى بركات –شبكة لغويّة معقّدة، تستند إلى تكرارات موضوعيّة وإحالات متراكبة، وحذف دلاليّ يُخفي أكثر مما يُصرّح.

فالسرد العربيّ الحديث يُعدّ مجالًا غنيًّا لاختبار فاعلية هذه المقاربة، لما فيه من تقنيات ترميز، وتراكب ضميريّ، وتعدد في مستويات الزمن والحدث، وهي عناصر لا يمكن الإمساك بها بمنهج يُجزّئ النّصّ أو يختزله إلى وحدات جمليّة معزولة، بل بمنهج يقرأ النّصّ جسدًا لغويًّا حيًّا، تتعاون أجزاؤه في إنتاج دلالاته، وتُحاور فيه اللغة ذاتها من أجل كشف ما وراء القول.

2.1 التّماسك في النّصّ: المحور التطبيقيّ

في بنية سرديّة قصيرة تنبض بكثافة رمزيّة شديدة، تتبدّى قصّة (حفنة تمر) للطيب صالح بوصفها تمثيلًا سرديًّا مكثّفًا لانهيار البراءة وارتجاج الوعي الأول، عبر نسيج لغويّ تتضافر فيه الإحالة بالتغريض، والتكرار بالإزاحة، والسببيّة بالوجدان. ليس النّصّ مشهدًا عابرًا في طفولة راوٍ، بل هو منظومة دلاليّة تُفكّك العلاقة بين المملوك والمالك، وتكشف لحظةً فارقة تتشكّل فيها الذات الطفلة على حافة التقيّؤ، حين يتقاطع الشعور بالقهر مع فعل اللغة.

وعلى ضوء لسانيّات النّصّ، يمكن التعامل مع "حفنة تمر" باعتبارها بناءً بسيطًا أو حكاية تعليميّة، وبنية لغويّة–شعوريّة مشدودة إلى شبكة من الإشارات المتواشجة، تنسجها الضمائر، وتُعيد رسمها المفارقات، ويكثّفها التكرار. فالراوي يقول القصة، وينزفها بصوتٍ محمّلٍ بألمٍ رمزيّ، حيث تتكشّف عناصر السرد وحدات نصيّة متماسكة، يتشابك فيها النفسيّ بالسياقيّ، والانفعاليّ باللغويّ، في سياقٍ يُعيد تعريف السلطة والحبّ والخسارة.

واعتمدت هذه الدراسة في مقاربتها اللسانيّة لنصّ "حفنة تمر" على ثلاثة محاور رئيسة، تُشكّل بمجموعها البنية التحليليّة التي نُسجت من خلالها القراءة، وهي:

---

(1) مقصود، حسن، تماسُك النص، أسسه وأهدافه. المؤتمر الدولي الأول في جامعة المنيا، مصر، 2008، ص5

(2) ينظر: رشيد، عمران، رشيد، عمران، اللسانيات النصية "دواعي التأسيس والأهمية. مجلة نزوى، العدد 62، إبريل 2010م، ص291.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2026

- أولًا: محور الروابط.
- ثانيًا: محور الاستبدال.
- ثالثًا: محور العلاقات الدلاليّة (السببيّة).
- رابعًا: محور مبدأ التغريض.

تهدف هذه المحاور إلى الكشف عن تماسك النّصّ من داخله، لا من ظاهره السرديّ، وإلى قراءة العالم الطفوليّ المضمر في "حفنة تمر" بوصفه تمثيلًا لانتقال الذات من وعي خالص بالحياة، إلى دهشةٍ مشوبةٍ بالخذلان، ومن إدراكٍ بريء للعلاقات إلى فهم باكر لمكر السلطة وتواطؤها مع الاستلاب.

إنّ هذه القراءة تستحضر لسانيّات النّصّ أدوات وصفيّة تكشف عمق التكوين الدّاخليّ للنص، وتُضيء كيف تكتب الطفولة أوجاعها بلغةٍ لا تحتمل الصراخ، فتكتفي بالهمس، أو بالقيء الصامت. فالنّصّ لا يُلقي معناه ولكنه يُضمره في بنيته، ويُغرّبه عن توقع القارئ، ويجعله في كل سطرٍ على موعدٍ مع كشفٍ جديدٍ للخذلان والرمز.

إنّ تحليل (حفنة تمر) من منظور لسانيّ نصيّ لا يفتح لنا باب التّماسك النّصّي وحده، بل يفتح، أيضًا، بابًا على النفس: على كيف تتشكّل، وتنهار، وتُعيد كتابة خسارتها بصمتٍ لغويّ مشبعٍ بالألم، ومحمّلٍ بكل ما لا يُقال.

أوّلًا: الرّوابط النحويّة

الرّوابط (Conjunctions) هي أدوات لغويّة تربط بين الوحدات النصيّة (الجمل، الفقرات، أو الأفكار) لخلق تسلسلٍ منطقيٍ أو عاطفيّ. وفقًا لهاليداي ورقية حسن، تُقسَّم الرّوابط إلى أربعة أنواع بناءً على وظيفتها:

1. الإضافيّة (Additive): تربط عناصر متشابهة (مثل "و"، "أيضًا").
2. السببيّة (Causal): تُبيِّن العلاقة بين السبب والنتيجة (مثل "لأن"، "لذلك").
3. التناقضيّة (Adversative): تُظهر تعارضًا بين الأفكار (مثل "لكن"، "مع ذلك").
4. الزمنيّة (Temporal): تُحدد التسلسل الزمنّي (مثل "ثم"، "عندما")[1].

وتكتسب الرّوابط في الشعر بُعدًا جماليًا يتجاوز الوظيفة النحويّة، إذ تُسهم في بناء الإيقاع وتعزيز الرمزيّة. ويُشير جيرار جنيت (Genette, 1980) إلى أن الانزياح في استخدام الرّوابط يعكس الانزياح في البنية السرديّة[2]، ويُوضح فان دايك (Van Dijk, 2008) أن الرّوابط السببيّة تُساعد في بناء سرديات مضادة[3].

ويمثّل الربطُ بالأدوات في النّصّ السّرديّ إحدى أبرز تقنيات التّماسك النّصّيّ، وهو وسيلة تركيبيّة تُنسّق العلاقة بين الجمل، كبنية وظيفية عميقة تُضفي على النّصّ ترابطًا داخليًّا وانسيابًا دلاليًّا يَعبُرُ بين وحداته اللغويّة والدلاليّة، فتغدو الجمل والفقرات مشدودةً بخيطٍ من المعنى لا ينفصم.

وليس الربط بالأدوات عنصرًا لغويًّا آليًّا، بل هو نظامٌ يُعيد ترتيب الزمن، ويَضبط إيقاع الأحداث، ويُوجّه زاوية الرؤية السردية. فهو ما يُحدثُ بين المقاطع السرديّة علاقةَ تتابُعٍ أو مفارقة، علاقةَ توتّر أو انفراج، فيبني بنية نَسَقيّة خفيّة، تُوحي بالتلاحم العضويّ بين عناصر النّصّ.

1: Halliday, M. A. K., & Hasan, R. (1976). Cohesion in English. UK: Longman, p 42.

2 : Genette, G. (1980). Narrative Discourse: An Essay in Method. Cornell University Press, p 45.

3: Van Dijk, T. (2008). Discourse and Context. Cambridge University Press, p133.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2026

وتزدادُ أهميةُ هذا الربط في السرد الطفوليّ خاصة؛ لأنّ الذاكرة الحكائيّة في مثل هذا النوع من السرد لا تتشكّل على نحوٍ خطيّ متّسق كما في السرد العقلانيّ عند البالغ، بل تنمو في شكل مشاهد متقطّعة، متجاورة زمنيًّا، متباعدة شعوريًّا، يُعيدُ تنظيمها منطق داخليّ عاطفيّ يتوسّل أدوات الربط لتشكيل شبكةٍ من المعاني المتداخلة.

فالأداة في السرد الطفوليّ هي علامة تأليفيّة تُرمّم فراغات التجربة، وتربط بين ما هو محسوس وما هو متخيّل، بين ما يُرى وما يُرتَجى.

وتتجلّى وظيفة أدوات الربط في مثل هذه النّصّوص بوصفها أدوات تشبيك دلاليّ تربط بين وحدات السرد، وتُبرز الفروق الزمنيّة والعاطفيّة والعلائقيّة بين الحوادث، فتحوّل النّصّ من سردٍ تفكيكيّ إلى بنيةٍ تأليفيّةٍ تكتسب معناها من التّماسك في داخلها، وتمنح القارئ قدرةً على تتبّع النمو النفسيّ والتطوّر الشعوريّ للشخصيّة الساردة.

ويُدرك القارئ من خلالها أنّ السرد – وإنْ بدا مرآةً للتجربة– فهو في الحقيقة توليف لغويّ لحركة الذاكرة، وما أدوات الربط إلا المفاتيح التي تُنظّم هذا التوليف وتُرشده.

1. آليات الربط الإضافي (واو، فاء، أو)

* الواو (أداة الربط الأفقيّة السرديّة)

الواو هي الأداة الأشدّ كثافة في النّصّ، وقد شكّلت العمود الفِقريّ لبنية السرد، خاصة في المشاهد الوصفيّة والتداعيات الشعوريّة، مثل:

- "وكان الشيخ يطلب مني... ويربت الزائرون على رأسي، تمامًا كما كانوا يفعلون حين يرونني مع جدّي"(1)
- "وأسرعت العدو كأنني أحمل في داخلي سرًّا"(2)

الواو، في نص (حفنة تمر)، لا تُستخدم على نحوٍ خطيّ زمني كما في السرد التقليدي الذي يُسجّل الحدث إثر الحدث، بل تتداخل على نحوٍ شعوريّ لتجسّد انسياب الذاكرة، وتُحاكي تدفّق التداعيات الحرّة في ذهن الطفل الراوي، حيث لا وجود لحدود فاصلة صارمة بين الزمن والمكان، ولا بين الفعل والانفعال.

إنها أداة تُمثّل الذاكرة في حالتها السيّالة، حيث الصور والمواقف تنثال على ذهن السارد كما ينثال الماء في جدولٍ منفتح. فـ(الواو) هنا، تربط طبقاتٍ من الشعور، وتنتقل من الخارج إلى الداخل، ومن الوصف إلى التأمل، ومن الحركة إلى الإحساس، دون أن يشعر القارئ بأن هنالك فواصل أو قفزات؛ بل يجد نفسه منساقًا في تيّار سرديّ لا ينقطع.

ومن ثمّ، فإن (الواو) تسهم في بناء بنية شبكيّة لوعي الراوي، إذ تتجاور اللقطات وتتراكب المشاهد، ويترابط ما هو آنٍ بما هو ماضٍ، في حركة سرديّة تُحاكي حركيّة العقل الطفوليّ الذي يعيش التجربة بمنطق التدفق الحر والانفعال الآنيّ لا بمنطق تسلسليّ. وإذا كانت بعض أدوات الربط في النّصّوص التقليديّة تُصنَّف بحسب وظيفتها النحويّة، فإن (الواو) في هذا النّصّ تؤدّي وظيفة نفسيّة–سرديّة تتجاوز التركيب لتبلغ عمق البناء الشعوريّ.

---

(1) دومة ود حامد، مرجع سابق، ص20.

(2) المرجع نفسه، ص26

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2026

إنها تُنشئ داخل النّصّ نمطًا من التّماسك الدّاخليّ الشعوريّ، إذ تسمح لصور متجاورة في الزمن أو متباعدة في المعنى أن تُقدَّم بوصفها سلسلة واحدة متلاحمة، كما في تعاقب المقاطع المرتبطة بجَدّ السارد، أو بالتمر، أو بمسعود؛ فكلّها تظهر دون فواصل صارمة، بل بوصل الواو الذي يحافظ على انسجام النغمة النفسيّة وانسياب التأمل الطفوليّ.

- **الفاء (أداة التتابع والدافعية النفسيّة)**

الفاء تُستخدم في سياقات الحدث الحركيّ والانفعال، كما في:

- "فأطرق جدي برهة"[1]
- "فأخذت أمضغه"[2]
- "فأدخلت إصبعي في حلقي وتقيأت[3]

إنّ الفاء، في سياق نص "حفنة تمر"، لا تأتي بوظيفتها المألوفة في الدلالة على التتابع الزمني فقط، بل تتجاوز ذلك لتؤدي دورًا مركزيًّا في ترجمة الحراك النفسيّ الدّاخليّ للسارد، إذ تكشف عن التحول من حالة ذهنيّة إلى أخرى، وتربط بين المقدّمات الانفعاليّة والنتائج السلوكيّة التي تنبثق عنها، فتصبح الفاء بمثابة آلية انبثاق شعوريّ لا مجرّد أداة ربط.

في مواضع كثيرة، تظهر الفاء متبوعةً بفعلٍ مفاجئ أو انفعاليّ، كما في: (فأطرق جدي برهة)، (فأخذت أمضغه)، (فأدخلت إصبعي في حلقي وتقيأت)، وهذه الأفعال تُبرز أن ما قبل الفاء تمثل تمهيدًا وجدانيًّا لردّ فعل غالبًا ما يكون غير متوقَّع، أو ينطوي على شحنة شعوريّة عالية.

وبهذا، تؤدي الفاء وظيفة مزدوجة: فهي من جهة تُجسّد التحوّل من التأمل إلى الفعل، كما في لحظة تأمل الراوي لموقف مسعود وانتهاء ذلك الفيض الشعوريّ بالفعل الجسديّ الحاسم: التقيؤ، ومن جهة أخرى، تُترجم انفجار التوتّر النفسيّ الذي يتراكم تدريجيًّا ثم ينفلت فجأة، في فعل دراميّ يحطّم الصورة المثالية للجد، ويفضح التصدّع الدّاخليّ في شخصيّة الطفل.

ويمكن القول إن الفاء تُمسك بخيوط التطوّر النفسيّ للراوي، وتحوّل خط السرد من المسار الوصفيّ التقريريّ إلى خط دراميّ مشحون، يكشف فيه السارد – دون وعي صريح – عن مفارقات العلاقة بين السلطة والحنان، وبين العدالة والانحياز .فـ(الفاء) هنا ليست أداة تتابع، بل مِفصل دلاليّ يحوّل النّصّ من كونه حكاية طفولة إلى مرآة لاشعوريّة لوعيٍ مأزومٍ، يتشكّل من خلال الصدمة، ويعبّر عنها عبر أفعال يربطها الفاء في لحظة تفجّر.

- **أو (أداة التخييل والاحتمال)**

وردت في موضع مهم "كلما تزوج امرأة باع لي فدانًا أو فدانين"[4]. تُعد (أو) في نص (حفنة تمر) أداة فارقة في التّماسك الدلاليّ من حيث بناء الاحتمال والتخييل في ذهن الطفل الراوي، ذلك أن الطفل لا يُفكّر بالأرقام بوصفها مقادير منضبطة، بل بوصفها أشباه أعداد تتّسع بالتخييل وتنكمش بالإحساس، فحين يقول الراوي: (كلما تزوج امرأة

---

(1) دومة ود حامد، مرجع سابق، ص22
(2) دومة ود حامد، مرجع سابق، ص20.
(3) المرجع نفسه، ص 26.
(4) دومة ود حامد، مرجع سابق، ص23.

باع لي فدانًا أو فدانين)، فإن أداة (أو) لا تؤدي وظيفة التخيير بين رقمين بقدر ما تُطلق سراح المخيّلة الطفوليّة في مهبّ الاحتمال.

إنها تُؤسّس لتجربة سرديّة منزاحة عن الواقع، وتجعلنا نقرأ العبارة نوعًا من العبث الكميّ الخياليّ، الذي لا يستقر على عدد، ولا ينضبط بمنطق رياضيّ، وهذا التأرجح يُوقِع القارئ في حقل دلاليّ مزدوج: من جهة، يواجه القارئ حدثًا واقعيًا (خسارة الأراضي)، ومن جهة ثانية، يندمج في تقدير شعوريّ مُضخّم يُبالغ في تصوير الخسارة والعبث، انطلاقًا من منطق الطفل الذي يُهوّل من المأساة بما يتجاوز الواقع.

وهكذا، تُضيف (أو) بُعدًا شعوريًّا خياليًّا إلى بنية السرد، وتُولّد خطًّا موازِيًا للحدث الواقعيّ، خطًّا يتشكّل من التداعيات والتمثّلات الطفوليّة، فتغدو الأداة جسرًا بين ما وقع فعلًا، وما استقر في وجدان الطفل من أثر. وهذا ما يصنع تراكبًا دلاليًا يميّز أسلوب الطيب صالح: فالرواية لا تُدوّن الحدث كما هو، بل تُعيد تشكيله في مرايا الوعي الدّاخليّ، و"أو" في هذا السياق علامة شعوريّة غائمة تشير إلى اتساع الكارثة، أو عجز الطفل عن الإمساك بها بحدود منطقيّة.

1. آليات الربط الزمنيّ (ثم، بعد، تدرج الحدث)

- **ثم (أداة التراخي والتراتبيّة)**

ظهرت في مواضع تنظيميّة:

- "ثم رأيت قوما أقبلوا"[(1)]
- "ثم يعيده إلى مكانه"[(2)]

(ثم) لا تُعبّر عن الزمن فقط، بل تُبطئ إيقاع السرد، فتمهّد لنقل الراوي من لحظة إلى أخرى بتروٍ وتدريج. وتُستخدم غالبًا عندما ينتقل الراوي من مشهد خارجيّ إلى شعور داخليّ، ما يجعلها أداة تماسك بين الحسيّ والانفعاليّ.

- **بعد (ربط ظرفيّ زمنيّ)**

- كما في: "بعد أن حك طرف أنفه بسبابته"[(3)]

يُسهم هذا التركيب في بناء النسق السببيّ/ الزمنيّ للفعل، ويجعل التّماسك بين السؤال والجواب، بين الفعل ورد الفعل، أكثر وضوحًا، فـ(بعد) تخلق أفقًا منطقيًّا يُؤطّر السلوك البشريّ داخل زمان نفسيّ مقنِع، فلا تأتي الأجوبة إلا بعد تمهيد شعوريّ.

2. آليات الربط الشرطيّ (لو، إن، إذا، من)

نلاحظ غياب أدوات الشرط المباشرة مثل (لو) و(إن) و(إذا)، مما يُفسّر عبر بُعدين: طبيعة الراوي الطفوليّ: الراوي لا يُفكّر بمنطق شرطيّ استنتاجيّ، بل بوحي تلقائيٍ عاطفيّ.

لذا يغيب البناء المنطقيّ الاستنباطيّ، وتبرز ردود الفعل الحدْسيّة بدلًا من التوقعات العقليّة. سيولة الزمن والتجربة: غياب أدوات الشرط يُسهم في تحرير النّصّ من الحتميّة، فتغدو العلاقات غير مغلقة، وتحمل أفقًا تأويليًا

---

(1) دومة ود حامد، مرجع سابق، ص25.

(2) نفس المرجع والصفحة

(3) المرجع نفسه، ص22

مفتوحًا. ونجد الأثر الضمنيّ للربط الشرطيّ في: كلما تزوج امرأة باع لي فدانًا(... وهو تركيب ينهض مقام (إذا) الشرطية.

3. آليات الربط الاستدراكيّ (لكن، بالرغم من، إلا أنّه)

- **لكن (مضمرة لا صريحة)**

لا تظهر (لكن) بصيغة واضحة، لكننا نقرأها في التوترات الآتية:

- "شعرت بالعطف على جارنا مسعود"(1) – بعد تعظيم شأن الجد.
- "وشعرت أنني أكره جدي"(2) – بعد امتداد مشاعر الحب له.

إنّ غياب الأداة الصريحة يعني غياب الوظيفة، والاستدراك الشعوريّ يُعبّر عنه عبر تضاد السياقات، مما يُضفي على النّصّ تماسكًا انفعاليًا داخليًا.

يظهر الاستدراك أيضًا في: ولكن جدّي هب واقفًا.. تكشف هذه المواضع عن مفارقة القيم بين الراوي وجدّه، فبينما يُحب الجد، ينفر من ظلمه، وهذا الصراع يُؤسّس لعمق نفسيّ يجعل التّماسك ليس لغويًا فقط، بل وجدانيًا.

ثانيا: الاستبدال:

يُعد الاستبدال (Substitution) أحد الآليات الأساسيّة للتماسك النصيّ التي حددها هاليداي ورقية حسن في نظريتهما الشهيرة عن التماسك في اللغة الإنجليزيّة، ويُعرَّف الاستبدال بأنه "استبدال عنصر لغويّ (كلمة، جملة، أو عبارة) بعنصر آخر لتجنب التكرار أو لتحقيق غرض بلاغيّ"[3]. ويتميز الاستبدال عن الإحالة (Reference) بعدم اعتماده على الإشارة إلى عنصر خارجيّ، بل على استبدال عنصر داخل النص بآخر يحمل الدلالة نفسها، وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع رئيسة وفقًا لـ هاليداي ورقية حسن:

1. الاستبدال اللفظيّ (Verbal Substitution): استبدال فعل بآخر، مثل استخدام "فعل ذلك" بدلًا من تكرار الفعل السابق.
2. الاستبدال الاسميّ (Nominal Substitution): استبدال اسم بآخر، مثل استخدام "واحد" بدلًا من تكرار الاسم.
3. الاستبدال الجُمليّ (Clausal Substitution): استبدال جملة بأخرى، مثل استخدام "كذلك" للإشارة إلى فكرة سابقة [4].

يرى الخطيب أن الاستبدال يُستخدم في الشعر الحديث لخلق إيقاع متوازن وتجنب الرتابة، خاصة في النصوص التي تعتمد على الرمزيّة[5]. أما كارستين (Karsten, 2018) فيؤكد أن الاستبدال يعزز التفاعل بين القارئ والنص عبر تحفيز الذاكرة الدلاليّة[6].

---

(1) دومة ود حامد، مرجع سابق، ص23

(2) المرجع نفسه، ص26

3: Halliday, M. A. K., & Hasan, p89.

4: Ibid., pp. 92-102.

5 الخطيب، الانزياح النحوي والتماسك في الشعر العربي الحديث، ص 74.

6 Karsten, L. (2018). Intertextuality in Digital Age. Cambridge University Press. P118.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2026

1. الاستبدال اللفظيّ: تجاوز التكرار وإغناء الدلالة

في قصة "حفنة تمر"، تُستخدم أفعال وتراكيب توحي بأفعال غير مصرح بها صراحة. فالفعل "**أحسست** " الذي يتكرر بصيغ متنوعة في السرد، يُستبدل غالبًا بعبارات حسيّة تَشي بمشاعر لم تُذكر، مثل: "وشعرتُ بيدي تمتدّ إليه كأنّي أردتُ أن ألمس طرف ثوبه"(1).

هذه الجملة تحذف فعل "واسيته" أو "عانقته" وتستبدله بحركة مجازيّة، فالاقتراب الصامت يُغني عن القول المباشر، ويوحي بعاطفة دفينة، فتكون اللغة هنا أداة استبطان، لا إخبار.

2. الاستبدال الاسميّ: الضمائر وتكثيف الإحالة

كثُر استخدام الضمائر المحيلة دون تكرار أسماء الشخصيات، فنقرأ مرارًا:"**هو**"، "**جدّي**"، "**مسعود**"، "**الرجل**"، لكن في مقاطع لاحقة، تتحوّل الإشارة لتُحيل ضمنيًّا إلى حالات وجدانيّة لا إلى أشخاص:"ورأيتُه زائغ العينين، تجري عيناه شمالًا ويمينًا، كأنّهما فأران صغيران تاهَا عن جُحرهما". هنا يُستبدل اسم "مسعود" باستعارة تشحن الضمير بقلق وجوديّ، وتُجنّب السارد تكرار الاسم، وتُعزّز شعور القارئ بالاغتراب والانكسار.

3. الاستبدال الجُمليّ: التعبير غير المباشر عن المشاعر والمواقف

نجد عبارات مثل:"ولستُ أدري السبب، ولكنني أحسستُ بألمٍ حادٍّ في صدري، وعدوتُ مبتعدًا، وشعرتُ أنّني أكره جدّي في تلك اللحظة". تُحيل هذه الجملة إلى جمل أعمق لم تُقل:"ظُلْمٌ وقع، تواطؤ على مسعود، خيبة في جدّي"، لكنها تُستبدل بجملة شعوريّة مترددة، تعكس الصراع الداخلي للراوي، وتُؤسس لتوتر سردي لا يعتمد المباشرة.

الوظيفة البلاغيّة والنصيّة للاستبدال في القصة

- تعميق الرمزيّة: يتحول التمر من مجرد محصول زراعيّ إلى رمزٍ للكرامة المستباحة، و"قلب النخلة" يتحول إلى استعارة عن الإنسان نفسه، الذي يُجتث من جذره بصمت. فكما في الشعر، هنا استبدال رمزيّ يعمّق الطبقة الدلالية للحدث.
- خلق التماسك النفسيّ واللغويّ: تتجنب القصة تكرار "الخذلان" أو "الخسارة" أو حتى "الصفقة"، وتبني مشاهدها عبر تراكم إحالات ضمنيّة، تُخلق من خلالها شبكة شعوريّة توصل للقارئ الألم دون أن تُفصح عنه.
- تجنب المباشرة الأخلاقيّة: القصة لا تُدين جدًّا ولا تُبرئ مسعودًا صراحةً، فتستبدل الجمل التقريريّة بعيون الراوي الطفليّ، فتُبقي الأحكام مؤجّلة.

يتجلّى الاستبدال في "حفنة تمر" بوصفه آليّة لبناء خطابٍ مضمر يتجاوز سطح الحكاية، ويحوّل الفعل اليوميّ (حصاد التمر) إلى دراما وجوديّة، يتقاطع فيها الحنين والخذلان، الذاكرة والجسد، القيم والخراب. ومن خلال الاستبدال، يغدو السرد مجالًا مفتوحًا للتأويل، ينقل القارئ من "ما حدث" إلى "ما كان ينبغي ألّا يحدث."

ثالثا: العلاقات الدلاليّة (السببيّة)

ليس غريبًا أن يبرز سؤال لم حدث ذلك ؟ في النّصّ الأدبيّ، خصوصًا في أحداث السيرة الذاتيّة، التي يقدمها الكاتب خلاصةً لتجربته في الحياة، فلقد عمد –منتج النّصّ– إلى استخدام علاقة السببيّة في مواضع كثيرة

(1) دومة ود حامد، ص22

وبصور متنوعة؛ تارة بأداة لفظيّة، وتارة معنويّة؛ ولعلّ ذلك هو ما يجعل القارئ يشعر بتوالي الأحداث، ومنطقيتها، مما يضفي إلى النّصّ بُعدًا ترابطيًا بين بناه التحتيّة، وتعرف علاقة السببيّة عند المنشغلين بعلم تماسك النّصّ بأنّها:"علاقة تربط بين مفهومين أو حدثين، أحدهما ناتج عن الأخر"(1).

إنّ تحليل العلاقات الدلاليّة السببيّة في قصة "حفنة تمر "من منظور التّماسك النّصّيّ يكشف عن حضورها البارز في بنية السرد، سواء عبر أدوات صريحة (كالفاء، لأنّ، كلما)، أو عبر قرائن معنويّة وسياقيّة، تُنتج لدى القارئ شعورًا بأنّ الأحداث تتوالى وفق منطق داخليّ، لا بشكل اعتباطيّ أو تفككيّ، وهو ما يضفي على النّصّ تماسكًا بنيويًا ودلاليًا يتجاوز الشكل إلى المضمون.

- **العلاقات السببيّة الصريحة**

تظهر العلاقة السببيّة الصريحة في مواضع كثيرة، حيث ترتبط نتيجةٌ بسببٍ قبليّ من خلال أدوات لغويّة واضحة: "لأنّه رجل خامل، وأنا لا أحب الرجل الخامل"(2).

وتظهر العلاقة السببيّة في سياق تفسير موقف الجد من مسعود، وقد وردت الأداة "لأنّ" لتؤسس تماسكًا منطقيًا في السرد، يجعل الحكم الشخصيّ يبدو مبررًا.

"كلما تزوج امرأة باع لي فدانًا أو فدانين"(3).

يُبنى هذا التركيب الشرطيّ التكراريّ على علاقة سببيّة واضحة، تُقدّم تفسيرًا مباشرًا لانحدار حال مسعود، ويُظهر النّصّ بهذا أن التغيرات الاقتصاديّة والاجتماعيّة في حياة الشخصيّة سبب متكرر يُعيد صياغة الواقع باستمرار.

شعرت أنني أكره جدي في تلك اللحظة... لأنني أحسست بألم حاد في صدري.

وإن لم تُذكر أداة "لأنّ" مباشرة في هذه العبارة، إلا أن العلاقة بين الألم النفسيّ وموقف الجد واضحة، فتتحقق السببيّة ضمنيًا في البنية الشعوريّة، وتُشكّل تماسكًا وجدانيًا يُعادل التّماسك البنيويّ.

- **العلاقات السببيّة الضمنيّة والمعنويّة**

في مواضع كثيرة، لا تَرِد الأداة اللفظيّة، لكن العلاقة بين السبب والنتيجة تُفهم من السياق، وتبني تماسكًا دلاليًا يشد النّصّ داخليًا، كما في:

- "أخذ يملأ راحته من التمر ويشمه طويلًا ثم يعيده إلى مكانه"(4).

لا تُذكر الأسباب، لكن القارئ يستنتج أن مسعود لا يملك الحقّ في التمر، رغم أنّه تمره، وهذه النكسة الشعوريّة الصامتة تُبنى على خلفيّة سرديّة كاملة، تربط بين ما قيل سابقًا عن الخسارة وما يُفعل لاحقًا من استلاب.

- "فأدخلت إصبعي في حلقي وتقيأت"(5).

لا تُذكر الأسباب بشكل مباشر، لكن الفعل الانفعاليّ (التقيؤ) يُفهم ."نتيجة" للاشمئزاز أو القهر الدّاخليّ، فيُقرأ المشهد كله ذروةً لعلاقة سببيّة شعوريّة تراكمت بصمت.

---

(1) جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة و اللسانيات النصية، ط1، 1998م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص 142.

(2) حومة ود حامد، ص22.

(3) المرجع السابق، ص23.

(4) دومة ود حامد، ص25.

(5) المرجع السابق، ص26.

قلت له: أظنك لا تحب جارنا مسعود؟ فأجاب بعد أن حك طرف أنفه... العلاقة هنا ليست بين السؤال والجواب، بل بين علامة جسدية (حكّ الأنف)، وتمهيد نفسيّ للبوح، مما يعكس علاقة سببيّة شعوريّة دقيقة، تتكرّر كثيرًا مع شخصيّة الجدّ، وتُسهم في تماسك الإيقاع الحواريّ في النّصّ.

على المستوى الزمنيّ، تنهض العلاقات السببيّة بدور تنظيميّ يُعيد تشكيل الأحداث وفق منطقٍ داخليّ يحكم تتابُعها بمعيار العلّة والمعلول، فالقارئ لا يقرأ الحدث زمنًا عابرًا، بل محصّلة لأسباب سابقة تُفسّر وقوعه وتُبرّر حضوره في السياق السرديّ.

وعلى المستوى الشعوري، تتكشّف فاعلية السببيّة في إضاءة التحولات النفسيّة للراوي، فهي تُفسّر أيضًا مشاعر الطفل في تبدّلاتها المتراكبة: من الحنان إلى العتاب، ومن الفخر إلى شعورٍ بالخجل، ومن التبعيّة إلى بوادر تمرّد، كما يتجلّى ذلك في مشهد التقيّؤ في الخاتمة، بما يحمله من دلالة شعوريّة وانفعاليّة مُضمَرة.

أمّا على المستوى التركيبيّ، فإنّ إدماج السبب بالنتيجة ضمن تراكيب قصيرة واضحة – كما في قول الراوي "لأنه رجل خامل" – يضفي على النّصّ تماسكًا لغويًا وتركيبيًا، ويجعل من كل وحدة سردية لبنةً تؤسّس لما يليها، فيغدو النّصّ كيانًا عضويًا تنسجم أجزاؤه وتتكامل وظيفيًّا، على نحو يُذكّر بالجسد الحيّ الذي تؤدّي أعضاؤه أدوارها في انسجام دقيق.

إنّ علاقات السببيّة –الصريحة منها والضمنيّة– في قصة "حفنة تمر "لا تؤدي وظيفة التفسير السرديّ حسب، بل تنهض بدور أساسيّ في توليد المعنى، وبناء التّماسك الدّاخليّ للنص، وتعميق التجربة الشعوريّة للسارد، فما يبدو سردًا بسيطًا لطفل يرافق جده في قطف التمر، يتكشّف شيئًا فشيئًا بوصفه بنية معقدة من العلل والنتائج النفسيّة والاجتماعيّة والرمزيّة، يُعيد بها الطفل تشكيل عالمه، ويكتشف من خلالها أول خيبات الوعي.

إنّ العلاقات السببيّة –بما تتضمّنه من علل مباشرة وأخرى مستترة في نسيج الحكاية– تتجاوز في قصة حفنة تمر كونها آليّة تفسير سردي، لتغدو أداةً مركزية في إنتاج الدلالة، ورافدًا من روافد التّماسك النّصّيّ العميق. فكلّ فعلٍ سرديّ، وكلّ حركة في القصة، مهما بدت بسيطة، مشدودة إلى سلسلةٍ من الأسباب النفسيّة والاجتماعيّة التي تشتغل في خلفيّة الحدث. فالطفل الذي يرافق جدّه في قطف التمر يسرد انكشافًا مبكّرًا على بُنى السلطة الخفيّة، وعلى الطبقات المعنويّة التي تُغطّي بساطة المشهد بغلالة من المعاني المؤجَّلة.

إنّ مشهد التمر –بوصفه مركزًا دلاليًّا في النّصّ– يُحاط بمجموعة من الأسباب والمآلات التي تُنتج خطابًا ضمنيًّا عن الخديعة، والخذلان، وخسارة البراءة. فالسببيّة هنا لا تنبع من منطق الحدث الظاهريّ فحسب، بل من التأويل النفسيّ الذي يقدّمه السارد بعد أن "نضج" ووعى ما جرى، فتغدو اللغة في خدمته أداة تأويل، تَسِم الجمل والعبارات بطابع استرجاعيّ يُعيد ترتيب العلاقة بين السبب والنتيجة، ويملأ الفراغات الدلاليّة التي تنشأ من صمت الشخصيات أو غموض المواقف.

وهكذا، يتّضح أن آليات السببيّة في النّصّ بنى دلاليّة متراكبة، تُشكّل جسرًا بين الحدث والإدراك، بين الفعل والوعي، وتسهم بفاعليّة في إنتاج تماسك النّصّ داخليًا، ليس عبر منطق السرد حسب، بل من خلال تواطؤ المعجم، وتكرار الصور، وتناسج الإحالات، بما يمنح القصة طابعًا بنيويًّا بالغ الدقة والانضباط رغم صغر حجمها الظاهريّ.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2026

رابعًا: مبدأ التغريض

تجلّت قناعةٌ شبه جامعة بين النقّاد واللغويين، على تنوّع مشاربهم واختلاف تخصّصاتهم، بأنّ "العتبات النّصّيّة" تُعدّ من أبرز آليات التشكيل الفنيّ في الخطاب الأدبيّ، بغضّ النظر عن جنسه أو نوعه، لما تنطوي عليه من دوالّ ذات وظيفة استهلاليّة تؤسس لعمليّة التلقي وتوجّهها. فهي مداخل دلاليّة تكشف عن ملامح البنية العميقة للنص، وتمنح القارئ مفاتيح تأويليّة أوليّة تسعفه في قراءة العالم الذي ينهض عليه العمل.

ولعلّ العنوان، في مقدّمة هذه العتبات، هو البوّابة الأولى التي تلامسها عين المتلقّي، فيرسم منها توقّعاته، ويبدأ عبرها مسار التفاعل مع النّصّ" ولعلَّ مبدأ التغريض – الآلية الوحيدة التي يعتمد فيها القارئ اعتمادًا جوهريًّا على معطيات لغويّة بحتة ليحكم على نص ما بالانسجام، ذلك أنه يبحث في العالقة بين النّصّ وأجزائه، ونقطة بدايته، أو بتعبير آخر يبحث في مدى قدرة نقطة انطلاق النّصّ على إظهار الغاية من النّصّ"[(1)].

ويمكن توصيف العنوان بوصفه نواةً إخبارية مكثّفة، تنبثق عنها جملٌ دلاليّة متوالية، تشكّل شبكة من المضامين التي تنتظم في بنية النّصّ، وتنهض عليها موضوعات الخطاب، بما يضمن التئامها حول ثيمة مركزية تُشكّل قطب الرحى في فعل التلقي والتأويل.

ويمكن النظر إلى عنوان (حفنة تمر) بوصفه نواةً دلاليّة مكثّفة، تتوالد منها إشاراتٌ نصيّةٌ لاحقة تُسهم في إنتاج المعنى وتوجيه التأويل، على نحوٍ يجعل من العنوان قطبًا مركزيًّا في بنية التّماسك النّصّيّ. فـ"الحفنة" تحيل إلى القِلّة والندرة، و"التمر" إلى الرمز الثقافيّ المتجذّر في الذاكرة العربيّة، المتصل بالصبر والمعاناة والبساطة، وكلّها إشاراتٌ تتناغم مع العالم الدلاليّ للنص، وتتماهى مع الثيمة المركزيّة التي تتحوصل في تجربة الفقد والتشبّث بما تبقّى من رماد الحكاية.

إن العنوان، من حيث هو واجهة الخطاب، يتشابك مع نسيج النّصّ داخليًّا، عبر حضوره الرمزيّ وتردّده الإيحائيّ، ليُشكّل مِفصلًا تأويليًّا يُعيد تنظيم وحدات السرد ضمن شبكة من العلاقات الدلاليّة والوجدانيّة، ويتجلّى التّماسك النّصّيّ في صورة علاقة عضويّة بين العنوان والنّصّ، علاقةٍ تجعل من "حفنة تمر" جوهرًا دلاليًّا تُبنى عليه مرجعية الحكاية، وتتشكّل منه بؤر الانفعال السرديّ.

إنّ هذه القصة، على قصرها، تنهض بوصفها مرآة لنظامٍ رمزيٍّ يتقاطع فيه السياسيّ بالمحلّي، والمكبوت بالظاهر، وتغدو حفنة التمر لا طعامًا بل استعارة مكثّفة للانتقال من البراءة إلى المرارة، ومن سذاجة الإدراك إلى وعي الخسارة. وفي ضوء هذا المنظور، يُمكن أن تُقرأ حفنة تمر باعتبارها نواة سرديّة مكثفة تحاكي – بلغة القص الحديث – بناء القصيدة المكثّفة، أو "القصيدة السرديّة" كما سماها بعض النقاد، بما تحمله من رمز، وإيحاء، وتغريض.

فالاقتراب من هذه القصة بعيون لسانيّات النّصّ، يكشف عن نسيجٍ سرديٍّ بالغ التّماسك، فتُنسَج الجُمل والصور والأحداث ضمن شبكة دقيقة من الإحالات، والتكرارات، والمرجعيات، والعلاقات السببيّة، مما يجعل من القصة بنيانًا دلاليًّا محكمًا، يشتغل على مستويات متعدّدة من المعنى. فالتّماسك النّصّيّ ينبني على تضافر آليات

---

(1) غرايسة، محمد، وسعداني، سليمان. "مبدأ التغريض في الدراسات العربية: بحث في الدراسات القرآنية والبلاغية والنقدية." مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد 13، المجلد 31، 2023م، ص133.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2026

لغويّة وسرديّة متشابكة، مثل: التكرار المُوجَّه، الإحالة الزمكانيّة، التتابع السياقيّ، والعلاقات المعجميّة القائمة على التضاد والتماثل، وكلّها ترفد المعنى وتمنح النّصّ وحدة داخليّة خفيّة.

وإذا كان مبدأ التغري – بوصفه توجيهًا دلاليًّا مُضمَرًا– يؤدي دورًا مهمًّا في الأدب الرمزيّ، فإنّه في حفنة تمر يتجلّى من خلال التبئير الطفوليّ، وتكسير التوقّعات، وتحوير الإشارات من معناها الظاهر إلى إيحاء خفيّ يطال بنية السرد ذاتها، فالطفل الذي يُهدى التمر لا يناله إلا من قسوة المعنى، والحبّ الظاهر في أعين الكبار يتكشّف عن صفقة مريبة، والعاطفة المُفترَضة تنحلّ إلى خيانة ناعمة.

هدفت الدراسة إلى تفكيك البنية الدّاخليّة لقصة حفنة تمر، وتحليل آليات التّماسك النّصّي فيها، وذلك من خلال توظيف مفاهيم لسانيّات النّصّ، مثل: الإحالة، التكرار، الحذف، والربط، وكذلك رصد العلاقات الدلاليّة بين المفردات والمواقف، وصولًا إلى الكشف عن العمق الرمزي للتجربة السرديّة. فالنّصّ الذي يبدو بسيطًا في ظاهره، يكشف –عند التحليل– عن اشتغالٍ لغويٍّ معقّد، تتواطأ فيه اللغة مع السياق، ليصنع أثرًا شعوريًّا ومعرفيًّا يستحق التأمّل والتحليل.

فالمقاربة النّصّيّة لهذه القصة تسعى إلى رصد آليات تماسكه من داخله، والإضاءة على التفاعلات الدقيقة التي تربط بين الجمل والمقاطع والدلالات، بما يُبرز عبقرية الطيب صالح في تكثيف التجربة، وصياغتها بلغةٍ تتجاوز المعيش لتبلغ طبقةً أعمق من الإدراك الجماليّ والرمزيّ في آنٍ معًا.

النتائج والتوصيات

بالنظر إلى ما سبق من تحليل لسانيّ سرديّ لقصة حفنة تمر، تتبدّى أمامنا بنية قصصيّة ذات تماسك داخليّ عميق، تحققت فيها شروط الانسجام النّصّيّ على نحوٍ يبرهن على أنّ الطيب صالح يُعيد تشكيل التجربة من الداخل، عبر لغةٍ دقيقة تُدار من خلال آليات لسانية متشابكة، تُوهم بالبَساطة، وتُنتج المعنى عبر شبكة من العلاقات النّصّيّة المركّبة.

لقد برزت الرّوابط الإحاليّة –لا سيّما الضمائر الشخصيّة والمقاميّة– بوصفها مفاتيح تأويليّة تُعيد تشكيل البنية الشعوريّة وتُعزّز الانفعالات المتضافرة بين الشخصيات. فالضمير "أنا"، الذي يرد على لسان الراوي الطفل، لم يكن ضميرًا ذاتيًّا معزولًا، ومثّل بؤرة صوتيّة مركزيّة تُعيد التوترات العاطفيّة نحو نقطة واحدة: اكتشاف الفقد والخيانة والانكسار. كما مثّلت الإشارات إلى الشخصيات الأخرى (الجد، مسعود، حسين...) مراكز إحالة مقاميّة، تحضر بوصفها رموزًا تتبادل الوظائف النفسيّة والاجتماعيّة في ذهن الراوي، فتُصبح الإحالة –هنا– بنية وجدانيّة قبل أن تكون بنية مرجعية.

أما علاقات السببيّة، فقد أضفت على المتن السرديّ منطقًا داخليًّا يُعيد ترتيب التجربة على أساسٍ انفعاليّ–دلاليّ، إذ تتكشّف العلاقة بين السبب والمسبّب عبر أدوات ظاهرة (لأنّ، فـ...)، وأخرى مضمرة تُستدلّ من السياق. فقد كان كلُّ فعل سرديّ في القصة مشدودًا إلى خلفيّة علّية، لا تُقال بالضرورة، بل تُلمَح من طريقة ترتيب الجمل أو من ردود الفعل الشعورية. إن الطفل الذي يتقيأ حفنة التمر لا يفعل ذلك بوصفه ردّ فعل جسديًّا محضًا، ونتيجة تراكم شعوريّ خفيّ يتّخذ شكله النهائيّ عبر سلسلة من الأسباب المؤجّلة، تتوزّع بين موقف الجد، وصمت مسعود، وانفعال الطفل. وهنا يُصبح التّماسك السرديّ فعلًا سببيًّا مركّبًا، يُعيد توليد المشهد من خلال بنية شعوريّة متراكمة لا تُفصح عن ذاتها صراحةً.

أما مبدأ التغريض، فقد شكّل المحور التأويليّ الذي تلتفّ حوله دلالات النّصّ، بدءًا من العنوان "حفنة تمر"، الذي يُشير إلى شيء بسيط في ظاهره، لكنه ينفتح على شبكة من الإشارات الرمزيّة الكثيفة، وصولًا إلى المشهد الختاميّ الذي يُختَزل فيه كلّ ما سبق من انفعالات في فعل التقيّؤ، باعتباره انفجارًا شعوريًّا يحمل في طيّاته طاقةً تأويليّة كبرى. فالتغريض لا يتمثّل هنا في ترميز المفردة حسب، بل في إعادة توزيع الانتباه داخل النّصّ، بحيث يتوارى المعنى الظاهر لصالح دلالة خفيّة تتسرّب من ثنايا الجملة، وتستدعي القارئ لتأويلها.

وتبرهن الدراسة أنّ قصة حفنة تمر بنية لغويّة دلاليّة مشدودة إلى مركز شعوريّ وتأويليّ محكم، تنهض على آليات إحاليّة تنسج شبكة الأصوات، وعلاقات سببيّة تحكم التدفق العاطفيّ، وتغريض رمزيّ يوجّه القراءة من الخلف. ومن ثمّ، فإنّ هذا النّصّ يُقدّم نموذجًا لما يمكن أن تنهض به لسانيّات النّصّ من تفسير دقيق لآليات التّماسك، ويُؤكّد أن التّماسك هو روح المعنى، ومحرّك الدلالة، وموجّه الانفعال في القص الحديث.

وتظلّ حفنة تمر، رغم حجمها القصير، نموذجًا سرديًّا بالغ الكثافة، تتضافر فيه الرّوابط الإحاليّة والعلل السببيّة والإزاحات الرمزيّة في نسيجٍ واحد، يُعيد ترتيب الواقع من منظور الذاكرة، ويجعل من اللغة مرآةً للشعور لا مرآةً للحدث، ومن النّصّ القصير قصيدة سرديّة عميقة، يُغمس فيها كلّ شيء في صمت اللغة وإيحاء الجملة.

وتوصي الدراسة أن ندير القول في نصوص نثريّة وشعريّة قديمة وحديثة وفق اللسانيات النصيّة التي تسعى إلى إنارة عرى النص وتستعلن تماسكه وانسجامه، ولعل ذلك يحقق التعالق بين اللغة والأدب، ويضفي بعدًا أسلوبيًا في دراسة النصوص وتحليلها.

المصادر والمراجع

أولًا: الكتب العربية

- جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة و اللسانيات النصية، ط1، 1998م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،
- رشيد، عمران، رشيد، عمران، اللسانيات النصية "دواعي التأسيس والأهمية. مجلة نزوى، العدد 62، إبريل 2010م
- صالح، الطيب، دومة ود حامد: سبع قصص، ط1، دار العودة، بيروت، 1977
- عبد الراضي، أحمد، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008،
- غرايسة، محمد، وسعداني، سليمان. "مبدأ التغريض في الدراسات العربية: بحث في الدراسات القرآنية والبلاغية والنقدية." مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد 13، المجلد 31، 2023م
- مقصود، حسن، تماسُك النص، أسسه وأهدافه. المؤتمر الدولي الأول في جامعة المنيا، مصر، 2008

المراجع الأجنبية:

- Halliday, M. A. K., & Hasan, R. (1976). Cohesion in English. UK: Longman
- Genette, G. (1980). Narrative Discourse: An Essay in Method. Cornell University Press
- Van Dijk, T. (2008). Discourse and Context. Cambridge University Press
- Karsten, L. (2018). Intertextuality in Digital Age. Cambridge University Press